الدراسات القرآنية واللسانيات الحديثة في الجامعة المغربية
ممكنات التطبيق وحدوده

السعيد رشدي
طالب باحث بسلك الدكتوراه
كلية الآداب والعلوم الإنسانية بظهر المهراز
جامعة سيدي محمد بن عبد الله بفاس
المملكة المغربية

الملخص:

تناول هذا البحث إشكالية تنزيل الدرس اللساني الغربي الحديث في الدراسات القرآنية داخل الجامعة المغربية، وقد كان ذلك بمنهج وصفي تحليلي تتبع مواقف الباحثين المغاربة من تطبيق اللسانيات على القرآن، وحلل نماذج تطبيقية لأبرز الأساتذة الذين حاولوا تنزيل هذا الاتجاه في دراسة القرآن كعبد الرحمن بودرع في لسانيات النص وأحمد البايبي في الصواتة التوليدية الحديثة من خلال القراءات، ولقد انطلق البحث من مجموعة من الفرضيات منها تكامل اللسانيات مع الدرس اللغوي التراثي والإيمان باستمرارية المعرفة بما يقوي إمكان التطبيق انطلاقا من الكليات التي تحكم اللغة كأداة لدراسة القرآن، ومن نتائجه أن ظهرت الجامعة المغربية ضمن الاتجاه المعتدل الذي نجح في تنزيل اللسانيات على القرآن، وضع حصل بالتكييف المنهجي وضبط مساحة الاشتغال.

الكلمات المفتاحية: الكلي، لسانيات النص، الصواتة، القراءات، الاتساق، الانسجام، اللسانيات الحديثة، التراث، التطريز.

© المؤلفون. مرخّص بموجب Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 (CC BY-NC 4.0) — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

Abstract:

This research addresses the problem of applying (operationalizing) modern Western linguistic theory to Quranic studies within the Moroccan university. It employs a descriptive and analytical methodology to trace the positions of Moroccan researchers regarding the application of linguistics to the Quran. Furthermore, it analyzes applied models from the most prominent scholars who have attempted to implement this approach in Qur'anic studies, such as Abdelrahman Boudraa in the field of Text Linguistics, and Ahmed Al-Baybi in the field of Modern Generative Phonology through the study of Quranic Readings (Qira'at) .This research proceeds from a set of hypotheses, most notably: the complementarity of linguistics with traditional linguistic studies, and the belief in the continuity of knowledge, which strengthens the possibility of application based on the linguistic universals that govern language as a tool for studying the Quran. Among its most important findings is that the Moroccan university has emerged as part of the moderate trend that has succeeded in applying linguistics to the Quran. This success was achieved through methodological adaptation and by precisely defining the scope of practice.

© المؤلفون. مرخّص بموجب Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 (CC BY-NC 4.0) — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

مقدمة

يعالج هذا البحث إشكالية تنزيل الدرس اللساني في دراسة النص القرآني داخل الجامعة المغربية، والتي تتصل بالاختلاف القائم بين النسقين الثقافيين الغربي والعربي؛ حيث ظهر النص الأدبي الإنساني في صورة المؤسس للثقافة والمولد لمناهج دراستها، لترتسم على محمله معالمه الحضارية ورؤاه الوجودية. بالمقابل، فإننا نجد في الثقافة العربية الإسلامية صورة مختلفة من منطلق كون القرآن الكريم نصها المركزي، ولقد حاول الدارسون في الجامعات المغربية التقريب بين النسقين؛ فاستثمروا خلاصة المناهج اللسانية بعد تكييفها في دراسة القرآن، وأثناء ذلك تعددت التصورات وتباينت المواقف واختلفت النتائج. وعلى أي حال، لا يمكن الرهان عل تباين النسقين العربي والغربي لإشهار التعارض واستبعاد إمكان التعاون؛ لأن ما بينهما من الاختلاف يمكن تأويله على التكامل ما دامت الحداثة التي قادت إلى ظهور هذه المناهج هنا أو هناك حداثات، كل واحدة تمثل مشروع بناء منفتح يستشرف المستقبل، فرضية توجهنا إلى محاولة تجسير إمكان الاستفادة من اللسانيات في دراسة القرآن، ولا نحسب ذلك هينا ولا ترفا معرفيا بقدر ما هو ضرورة فكرية ومنهجية، سبق تسجيلها تاريخيا بعد انفتاح العرب الأول علة الثقافة اليونانية، وسنعتمد في البحث منهجا وصفيا تحليليا يوضح خصائص الدراسات واتجاهاتها وأبعادها على أمل تحقيق الأهداف المسطرة له، وفي مقدمتها رصد محاولات التقريب بين اللسانيات والقرآن وتطبيقاتها في الجامعة المغربية والتعريف بها وبيان مضامينها ونتائجها.

I. اللسانيات الغربية في المجال الثقافي العربي.

اقترنت مقدمات الانفتاح العربي على الدرس اللساني الغربي بدراسة اللغة العربية بسؤال الانفتاح على الغرب ضمن مجال أوسع تشكل من تراكمات الفكر النهضوي بدءا من نهاية القرن التاسع عشر وبداية العشرين، وكان ذلك في سياق سجالي أثر في مسار تحديث الدرس اللغوي وقراءة القرآن؛ فانقسم الباحثون إزاء هذا الموضوع إلى فريقين؛ الأول متشدد والثاني معتدل:

1. **المتشددون**، توزعوا بين فريقين كلاهما على طرفي نقيض؛

أ. **المحافظون**: وهم جماعة من المثقفين المنادين بالانغلاق على الحداثة الغربية والاعتصام بالتراث والدرس اللغوي القديم والعمل عليه في إطار اتباعي تقليدي يراعي النسق الثقافي العربي والإسلامي؛ فعدوا النص القرآني مفارقا للواقع، لكن موقفهم هذا لم يكن مصحوبا بمشروع معرفي بديل، معللين رفضهم للسانيات الغربية بانبثاقها عن الحداثة الغربية ومفاهيمها الفلسفية، من هؤلاء: أحمد الأخضر غزال، يقول هذا الأخير ردا على إقبال الباحثين العرب على اللسانيات:" هذه الأفكار (استساغة الأصوات وتناسقها مع المعاني) انتبه إليها فقهاء اللغة القدماء فخصصوا لها أبوابا مشهورة عنونوها بمطابقة اللفظ للمعنى، ومن أشهرهم في هذا ابن جني، كما ألفوا فيها كتبا أشهرها قاموس مقاييس اللغة لأحمد بن فارس، إلا أن علماءنا المحدثين ممن تتلمذوا على العلماء الأوربيين أقلعوا عن هذه الأبحاث النفيسة لأنهم عملوا بنظريات العلماء الغربيين الذين فشلوا في بحث هذا الموضوع"[1]، إن من شأن رفض الدرس اللساني الحديث وفق ذلك عدم الإقبال على دراسة القرآن إلا في دائرة ضيقة لا تتعدى المناهج التراثية.

ب. **الحداثيون**: حاول هؤلاء تجاوز سؤال التراث ومرجعياته الدينية والانفصال عنها فكانوا اتباعيين مقلدين أيضا للغرب، ولقد عللوا اختيارهم بأن العقلانية الغربية وتجلياتها من مناهج النقد والبحث اللغوي واللساني هي أوج ما وصل إليه الفكر اللساني الإنساني حينها، وأن اللسانيات هي المعبر الضروري للعلوم اللغوية إن أرادت الارتفاع إلى مستوى العلمية، لذلك ضيقوا مسارات البحث وأسقطوا البعد الذاتي والمرجعيات الخارجية والبعد المقدس في التراث وقاسوا القرآن على الكلام

---

1 – الأخضر غزال، أحمد، فلسفة الحركات في اللغة العربية، مجلة اللسان العربي، العدد 10، السنة : 1973.

© المؤلفون. مرخص بموجب Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 (CC BY-NC 4.0) — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

البشري، ومن الغربيين أنفسهم من رفض هذا الاتجاه في مجال الفلسفة والأدب والفن، يقول روبرت هولب نسبة إلى جادامر:" الحكاية الثانية التي يرويها جادامر متصلة بتاريخ علم التفسير، والتي لها فصول ختامية مشابهة، ولكن بحبكة قصصية مختلفة قليلاً، حيث يرتبط علم التفسير عموما بمعارضة جادامر للوضع الفكري العلمي السائد. والذي له ارتباط بالفن أيضًا، حيث يرى جادامر أن الفن مثال نموذجي لتصور الفهم بشكل عام[1]. إن رفض هؤلاء ضم الفن والأدب إلى العلمية التجريبية يشبه رفض فكرة مفارقة القرآن للواقع وتنزيله منزلة الإنساني من مدخل تاريخي أو تأويلي أو أنسنته... في تكريس الموضوعية ونفي الذاتية، وهو نوع من التعميم المفرط overgeneralization... الذي يمكن استباحة النص القرآني والاتجاه به نحو الدراسات التاريخية التي تخضعه لمنطق البيان الإنساني؛ ومن رواده ناصر حامد أبو زيد ومحمد أركون وعلي حرب وحسن حنفي وغيرهم.

2. **المعتدلون**: بالمقابل ظهرت أصوات أخرى نادت بقراءات بديلة تركز على تكييف المناهج اللسانية وربطها بالتراث النحوي والصرفي والصوتي العربي مع مراعاة الخصوصية العربية، ولقد اتسمت منهجيا بالجدة وبناء البديل الذي ظهر من خلال مؤلفات كثيرة تفاعلت مع التراث والحداثة فاستفادت منها الدراسات العربية الحديثة في كل تجلياتها؛ وبناء على ذلك دعا العديد من هؤلاء المعتدلين إلى تقويم التراث والدفع به للاتصال بالدراسات اللسانية وترك فكرة القطيعة، وفصل واقع الحداثة السلبي لا يجب أن يصل إلى الانقطاع عن روحها الإيجابي، ففي الحداثة مجال إنساني مشترك؛ يمكن الأخذ فيه بروحها مع تجاوز آفاتها عبر بحث المشترك والمختلف فيه والعناية بالأول والتحفظ على الثاني، بشكل يحفظ الخصوصية ويقي من الاتباعية والتقليد.

ويأذن هذا التصور بتجاوز الإخفاقات، إذا ما التزم القارئ بمنهج قرائي علمي مضبوط؛ أساسه تمثل مقومات روح الحداثة والتي حددها طه عبد الرحمن في قوله:" إن روح الحداثة تتكون من مبادئ ثلاث؛ أولها "مبدأ الرشد"، ويقضي بوجود الاستقلال عن الأوصياء والأولياء، ووجود الإبداع في الأقوال والأفعال، والثاني "مبدأ النقد" ويقضي بممارسة التعقيل في كل شأن من شؤون الحياة، وممارسة التفصيل في كل أمر يحتاج إلى مزيد الضبط، والثالث "مبدأ الشمول"، ويقضي بحصول التوسع في كل المجالات وحصول التعميم على كل المجتمعات؛ فخصائص الروح الحداثية إذن هي أنها روح راشدة وناقدة وشاملة"[2]، وتستطيع هذه المبادئ، المستقرأة من واقع الحداثة الأوربية ومن سيرورتها الإنسانية تمكين الثقافة الإسلامية من استدراك تأخرها الحضاري؛ ذلك لأن الحداثة في واقع الأمر نتاج إنساني ليس مخصوصا بأحد، فثمة في الأوربية ما هو عربي والعكس صحيح، وعلى ذلك يمكن التأصيل.

وانطلاقا من هذه الاعتبارات وخاصة ما كان من مساهمات العرب والمسلمين في مراحل سابقة، يمكن القول إن روح الحداثة إنساني، وإلى ذلك ذهب طه عبد الرحمن قائلا:" ليست روح الحداثة ملكا لأمة بعينها، غربية كانت أو شرقية، وإنما هي ملك لكل أمة متحضرة، أي لكل أمة نهضت بالفعلين المقومين لكل تحضر، وهما: "الفعل العمراني"- وهو الجانب المادي من هذا التحضر- و"الفعل التاريخي" الذي هو الجانب المعنوي منه "[3] وبالعودة إلى مقومات تلك الروح كما حددها عبد الرحمن نجدها ذات طابع كلي، تنسحب على جل ما يدخل في نطاقها أو يشكل أفرادها؛ نظريا على مستوى الإدراك وعمليا في تطبيقاتها على الظواهر

1 – Holub,Robert C , Reception Theory, Acritical introduction1989, routledge London and Newyork , p.39:

2 – عبد الرحمن، طه، روح الحداثة، المدخل إلى تأسيس الحداثة الإسلامية، 2006، ط:1، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ص29.

3 – روح الحداثة، المدخل إلى تأسيس الحداثة الإسلامية، ص31.

© المؤلفون. مرخص بموجب Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 (CC BY-NC 4.0) — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

اللغوية ونوازلها في سياق التطور والمصالح؛ مصالح المجتمع والأفراد خاصة في مجال الكسب الفكري والمعرفي...، وتطوير اللسانيات في الدراسات اللغوية يمكنها فتح آفاق الدراسات القرآنية.

II. الربط بين اللسانيات الغربية والعربية في الجامعة المغربية.

لا يتصور تنزيل اللسانيات في الدراسات القرآنية قبل ترسيخ في الدراسات العربية. وبيانا للسجال المصاحب لحيثيات هذا التنزيل، قدم اللسانيون المغاربة منجزهم العلمي في ثلاث صيغ؛ الأولى هي ناتج البحث في اللغة العربية باستثمار الدرس اللساني الغربي والفكر العربي التراثي باللغة العربية، والثانية ما كان في نفس السياق باللغة الفرنسية، والثالثة بالترجمة من اللغات الأجنبية إلى اللغة العربية، وبذلك استهدفوا فئة عريضة من القراء داخل الجامعة وخارجها، مستفيدين من تمكنهم من اللغة العربية واللغات الأجنبية خاصة الفرنسية، فكانوا جسرا لهذه المعرفة؛ ينتقلون فيها بين الأنساق بالترجمة أو التأصيل.

وما يسمح لهذا الربط بالاشتغال إمكان تجريد اللغة من سياقات استعمالها في صور منطقية تسمح بوصف وتفسير كيفية انتظام اللغة، وهو أمر بديهي؛ فالعلم الصرف ما يمكن تفريغه في مفاهيم وقوالب منطقية تضمن عملية انتقاله بل وتجعلها معقولة، يقول طه عبد الرحمن:" لما كان الفكر نسقا من المعاني المجردة، فإن نقل هذا النسق المعنوي إلى الغير بواسطة الألفاظ، لا يجعل لهذه الألفاظ تأثيرا في هذه المضامين المعنوية، ولا يورثها تغييرا لوصفها التجريدي، وإنما قصارى الألفاظ أن تنزل من هذه المعاني منزلة أصوات تبلغها إلى المسامع، أو منزلة حروف تجلب لها الأنظار...، أما الفكر الذي يرتدي هذين اللباسين، فإنه يبقى في ذاته غير منفعل بهما مستقلا عنهما""[1] ، ومع ذلك فإن هذا الإقبال لم يبعث الرضا في نفوس بعض الأساتذة الباحثين لاعتبارات عقدية متصلة بالمكانة الاعتبارية للقرآن؛ وهذا مظهر آخر من مظاهر التعميم المفرط للفكرة وإجرائها؛ فثمة ما يمكن فيه التعميم وهو الكلي الفكري والعلمي وارتباطا بذلك، أخذت مواقفهم مسارين:

1. الانفصال، يتكون من مستويين؛

أ. **الانفصال عن الدرس اللساني الحديث مع الاهتمام بالدرس التراثي**: تشكل هذا الاتجاه من بعض الأساتذة المشتغلين بالدرس اللغوي العربي التراثي فكونوا جماعة متجانسة؛ هدفها التصدي لانتشار للدرس اللساني الحديث، زاعمين عدم صلاحيته للغة العربية وصفا ولا تفسيرا، إضافة إلى ذلك حاولوا استبعاده من الدرس الجامعي وتبخيسه في الندوات والإعلام منهم أحمد الإدريسي وأحمد العلوي الذي يقول: "وشخصيا قاومت تجارة الماركات اللسانية وخصوصا في مقال طويل " لسانيات هبل" نشر في أعداد متتابعة من أعداد العلم الثقافي في زمن كان فيه ملحق تلك الجريدة ذا شأن ثقافي مرموق، كما كنت أقاومها في الممارسة الجامعية بصحبة المرحوم أحمد الإدريسي وآخرين ممن انضموا إلى اتحاد اللسانيين المغاربة"[2].

ب. **الانفصال عن الدرس التراثي مع الاهتمام بالدرس اللساني الحديث**: يرى هؤلاء أن الفكر اللغوي القديم لا يصلح لوصف وتفسير اللغة العربية المعاصرة، وبالتالي لا داعي للالتفاف حوله فوجب الانفصال عنه والانطلاق نحو الدرس اللساني الحديث، منهم الأستاذ عبد القادر الفاسي الفهري، يقول:" ودراسة المعطيات الموجودة في هذا التراث، يمكن أن تستعمل لبناء نحو اللغة العربية القديمة. ودراسة النسق المفاهيمي النحوي /اللغوي يهدف إلى التأريخ للفكر (أو الإبستمولوجيا). إلا أنه خلافا لما يعتقد، ليس هناك ضرورة منطقية أو منهجية تفرض علينا توظيف هذا التراث" [3]؛ إن

---

1 – عبد الرحمن، طه، فقه الفلسفة، الفلسفة والترجمة، 1995، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، ج1 ، ص: 73.

2 – أسئلة اللغة وأسئلة اللسانيات، حافظ إسماعيلي علوي، وليد أحمد العناتي، .2009دار الأمان، الرباط،، ط: 1، ص: 21 .

3 – الفاسي الفهري،عبد القادر، اللسانيات واللغة العربية نماذج تركيبية ودلالية، 1988، ط2، دار توبقال للنشرص:60.

© المؤلفون. مرخّص بموجب Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 (CC BY-NC 4.0) — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

عدم صلاحية التراث لخدمة اللغة العربية المعاصرة في تصور الفاسي راجع إلى رغبته في تشكيل النموذج اللساني العربي القادر على إعادة تقعيد اللغة العربية بما يناسب واقع اللسانيات الحديثة.

والدعوة إلى الإقبال على اللغة العربية المعاصرة في اللسانيات التوليدية حاصل من الإحساس بجمود الدرس التراثي في المرحلة الوسيطية حيث ارتبط بالنحو التعليمي على حساب النحو العالم خاصة بعد القرن السابع الهجري في مقابل دينامية الواقع، ونتيجة لذلك فإن اللغة العربية تحتاج إلى نموذج جديد (paradigme) يستطيع لا وصف اللغة فحسب بل وصفها وتفسيرها وتتبع كيفية إنتاجها وفهمها بنظريات وقوالب علمية جديدة تعمل على الاستجابة لواقع تقني تواصلي منفتح على العالمية بل ونقله إلى الدراسات القرآنية على الأقل نظريا وفي حدود خاصة تطبيقيا بالاستناد إلى "الكلي"[1].

2. **الاتصال**: تكون من المؤيدين لإمكان الربط بين الدرس اللساني والتراث اللغوي، يقوده فيلسوف اللغة طه عبد الرحمن ورائد اللسانيات الوظيفية أحمد المتوكل...، يرى المتوكل أن الفكر اللغوي العربي القديم لا يختلف عن اللسانيات الحديثة إلا في الدرجة، يقول:" يكمن التباين بين الفكر اللغوي القديم (عربيا كان أم غير عربي) والدرس اللساني الحديث في اختلاف الظروف التاريخية التي تحيط بإنتاجهما حيث لا قطيعة معرفية تفصل بينهما خلافا لما يعتقد"[2].

وما ذهب إليه المتوكل من عدم وجود قطيعة معرفية بين اللغويات القديمة والحديثة وبين العربية والغربية يؤكد الحاجة إلى الكشف عن تلك الصلة التي نراها في التجسير، ولعل الفضاء المعرفي المشرع على البحث اللساني والفلسفي والمنطقي بهذا التصور هو فضاء "الكلي اللساني المشترك"، ففي تخومه يلتقي اللسان العربي وغير العربي، ويشتغل الفلسفي الإنساني والمنطقي البحث ولو بدرجات مختلفة تبعا لطبيعة الموضوع، وأما مجال الاختلاف فيقع على مساحة التجارب التاريخية، وهي فضاءات يمكن أن تكون للتكامل لا الترافض يدعمها الحق في الاختلاف، وهذا المنحى هو الذي قدم الفرش المعرفي لاشتغال اللسانيات في الدراسات القرآنية لاحقا.

III. اللسانيات الحديثة والدراسات القرآنية في الجامعة المغربية:

اتجهت الجامعة المغربية إلى استثمار إمكان التكامل بين اللسانيات العربية واللسانيات الغربية في الدراسات القرآنية في مرحلة متأخرة مقارنة مع انفتاح الدرس العربي على اللسانيات؛ وأول ما يمكن ملاحظته هو قلتها وكونها أعمالا جزئية، وفي عموميتها استفادت من اللسانيات بتنزيل مستويات مختلفة كالتداولية ولسانيات النص وغيرها، وكان من أسس هذا التنزيل البحث في الكلي المشترك بين اللسانيات في مستواها العربي والغربي والمقارنة لغاية التكييف، وعلى هذا الأساس حصل الاهتمام به. ونقصد بالكليات اللسانية المكونات القواعدية المشتركة بين الألسن تركيبا وصرفا وصوتا؛ إنها مساحات متوارية خلف الكلام وأبنيته وفضاءاته لا تختلف إلا على حدود ثقافية ضيقة، ينكشف عند انتقال الكلام إلى المستوى السطحي، وبذلك يستطيع الباحثون اللسانيون توظيفه في دراسة اللغة أو بالترجمة بين اللغات وأنساقها.

---

1 – ينتسب الكلي في اللغة إلى الكل، والكل في لسان العرب: "اسم يجمع الأجزاء" (ابن منظور، لسان العرب{ك.ل.ل}) واصطلاحا حاول الكفوي توضيحه بالاستناد إلى ما بين الكل والكلية من فروق، قائلا:" الكل هو الحكم على المجموع ... والكلية هي الحكم على كل فرد... والكل يتقوم بالأجزاء... والكلي محمول على الجزئي...والكل موجود في الخارج ولاشيء من الكلي بموجود في الخارج، وأجزاء الكل متناهية وجزئيات الكلي غير متناهية...والكلي طبيعي ومنطقي وعقلي" الكفوي، أبو البقاء، الكليات ، 1998، ط2، تحقيق عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ص 745.

2– أحمد المتوكل، الخطاب وخصائص اللغة العربية، الرباط، منشورات الاختلاف، ط1، 2010، ص:12.

© المؤلفون. مرخّص بموجب Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 (CC BY-NC 4.0) — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

ومع ما يستتبع هذا الطرح من ملاحظات نقدية لما فيه من النزعة الشمولية وتداخل الفلسفي واللساني، فإنه يحمل آفاقا بحثية واعدة خاصة في مجال اللغات الطبيعية ذات الخصوصية الثقافية كاللغة العربية والقرآن، يقول طه عبد الرحمن:"إن النزعة الشمولية في مجال اللسانيات لا يتلقاها بالقبول جميع المشتغلين بهذا المجال، بل إن منهم من ينزع نزعة معارضة قد نسميها "النزعة الخصوصية اللسانية " وهي تنكر وجود "كليات بنيوية" أو "بنيات كلية" ظاهرة الفائدة في وصف الآليات المميزة للغات المنطوقة"[1].

ومن وجوه الكليات اللسانية ما يكون موضوعات عامة في اللغات والنصوص كالنظم الذي يحضر في اللغة العربية ومقابله القريب منه في اللغات الأوربية ولسانيات النص الاتساق (cohérence)، ومنها ما يكون في حكمٍ ظن الباحثون على الدوام اختصاصه بلغة دون أخرى أو ارتباطه بوضع دون آخر كالإعراب في تعلقه بأواخر الكلم لدى العرب لتمييز معنى الفاعلية والمفعولية وغيرهما ثم أمكن توسيعه محمولا على معنى الأعراب العام، ليلتحق بأوائل الصيغ وأواسطها أيضا، وسبق أن نبه الشيخ أبو الحسن الحرالي على ذلك قائلا:" عادة النحاة أن {-} لا يلتمسوا اختلاف المعاني من أواسط الصيغ وأوائلها، وفي فهم اللغة وتحقيقها إعراب في الأوساط والأوائل، كما اشتهر إعراب الأواخر عند عامة النحاة"[2]، هذا الوضع ثبت وجوده لاحقا في لغات مختلفة كالفرنسية والإنجليزية مثلا فتختل البديهيات وتستيقظ الضمائر الباحثة على واقع جديد من شأنه فتح التصورات السائدة على مزيد من العلمية النافعة.

هذه الملاحظة ذكرها محمد الرحالي بعد ملاحظة وجود المصفاة الإعرابية في الفرنسية[3] فقادته إلى أن الإعراب يتحدد بالموقع لا بالسمة الصرفية، يقول محمد الرحالي: "نظرية الإعراب مستقلة عن التحقق الصرفي. فما يحدد إعراب المكون ليس الصورة الصرفية الإعرابية التي يحملها ولكن موقعه التركيبي"[4]، إن ما يجري على الإعراب بين التراث اللساني العربي واللسانيات الحديثة يمكن أن يحدث على مكونات أخرى كالنظرية العاملية والتعلق والنظم ومفهوم الكلمة والصواتة، وغيرها، بما يسمح بتوسيع أفق البحث وفهم أكبر في اللغة العربية والدراسات القرآنية.

كل هذه الاعتبارات تجعل درس اللغة العربية وتحولاته في ظل اللسانيات قابلة للاستثمار في دراسة النص القرآني في أبعاده الدلالية والتركيبية والصواتية وغيرها، كما تجعل الفكر اللغوي القديم غير منفصل عن الحديث، ويتقلص إمكان القول بالقطائع المعرفية في العلوم الإنسانية وادعاء الحاجة للتراكم بخلاف ما يعتقد البعض، وعمليا يسمح العودة إلى اللسانيات في دراسة القرآن بالكشف عن أهميتها في الدرس القرآني كالتفسير مثلا بالترجيح بين أقوال المفسرين ورفع الخلافات اللغوية والمعنوية بينهم وبسط الرأي فيها ودورها في فهم القرآن مما يفتح إمكانات تطوير الدراسات القرآنية لا في ذاتها فقط ولكن أيضا على ضوء متجاورات لغته في فضاء الساميات، ولعل هذه النتائج وغيرها مثلت عاملا معنويا رفع منسوب الإقبال عليها البحوث الأكاديمية وغيرهم خاصة في التفسير والقراءات القرآنية.

ومن الدراسات القرآنية المختارة في هذا البحث دراستان تمثلان تطبيقا للسانيات في القرآن؛ الأولى تدخل ضمن تنزيل لسانيات النص في بلاغة القرآن، والثانية تخص الصواتة التوليدية الحديثة على القراءات القرآنية؛

---

1 – فقه الفلسفة، ج1، ص 71.

2 – الحرالي، علي أبو الحسن، تراث أبي الحسن الحرالي المراكشي في التفسير،ص :427.

3 – الرحالي، محمد، تركيب اللغة العربية، مقاربة نظرية جديدة، 2003، ط 1، دار توبقال، الدار البيضاء، ص :24.

4 – تركيب اللغة العربية، مقاربة نظرية جديدة، ص :23.

© المؤلفون. مرخّص بموجب Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 (CC BY-NC 4.0) — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

1. قراءة عبد الرحمن بودرع*: ننطلق في تناول تصور الأستاذ بودرع (2013) لعلاقة اللسانيات الحديثة بالتراث من كتابه: ""نحو قراءة نصية في بلاغة القرآن والحديث"[1]، وهو دراسة أكاديمية نشرت ضمن مجلة دورية تصدر من قطر تحت عنوان : كتاب الأمة عدد 154، سنة 1434هـ، السنة الثالثة والثلاثون، صدرت في حوالي 200 صفحة متوسطة، خصص القسم الأول للقرآن الكريم والثاني للحديث النبوي الشريف، والظاهر من الكتاب إعلان المؤلف عزمه على تنزيل اللسانيات النصية لدراسة بلاغة النص القرآني، وما يعلل به موقفه إيمانه بقدرة لسانيات النص وتحليل الخطاب على استكشاف بنائية القرآن الداخلية وبيان بلاغة تماسكه وكشف جماليات انسجامه قال :" عمد البحث إلى استنطاق أحدث مناهد اللسانيات وهو "لسانيات النص وتحليل الخطاب" بخصوص ما يمكن تقدمه من جديد في تحليل النص واستكشاف بنياته الداخلية والوقوف على بلاغة تماسكه وجماليات انسجام عناصره، والوقوف على معانيه الكلية التي لا يقوى نحو الجمل على استكشافها وبيانها"[2] ولقد عبر بودرع عن غايته من مشروعه وهي إخراج المعرفة اللغوية واللسانية العربية من مجال التنظير إلى التطبيق وملامسة الواقع، تصور عملي يلامس ما تسعى إليه اللسانيات العربية.

ب. آليات استثمار اللسانيات النصية في قراءة القرآن عند بودرع: حاول الأستاذ بودرع ملامسة كل ما يعجز عنه نحو الجملة أثناء تناول القرآن؛ فاستثمر لسانيات النص ونظريات تحليل الخطاب في استكشاف أبنية القرآن الداخلية ووحدة دلالته وكليته والغاية الوصول إلى قراءة علمية تستفيد من كل روافد هذا العلم كالأسلوبية والتداولية، ويرى الأستاذ أن هذا العلم حتى ولو انتسب للدرس اللساني الحديث فإن متأصل في الطبع العربي وفروع المعرفة اللغوية التراثية.

وتنزيل هذا التصور على حداثته اقتضى شرح مفاهيم ومصطلحات علم لسانيات النص، ومنها مفهوما النص والخطاب، والنسق والبنية، وما بينهما من وجوه الاختلاف، وقد علل الأستاذ اختياره للقرآن كفضاء لتنزيل البحث بكونه عماد الحضارة العربية، منتقدا بعض القراءات الحداثية التي لا تتمتع بمرجعية شرعية تبوؤها المكانة اللائقة. إن سؤال الشرعية محدد مركزي في كل قراءة لسانية للقرآن، وأساسها متصل رأسا بحفظ خصوصية القرآن، وهذا ما ظهر في قراءات الأصوليين، ولا تتحدد الشرعية فقط بهذا الجانب وأيضا بملامسة المقصد، ولتحقيق ذلك توقف في منجزه عند ثلاث قراءات نصية، وهي:

– القراءة التناسبية: ركز فيها على العلاقات بين المعاني والألفاظ والأصوات في القرآن، عارضا مختلف من ألف فيه في التراث كالبقاعي (من ملاحظاتنا سكوته عن الحرالي المراكشي مع كونه أستاذا للبقاعي) ومحمد صادق الرافعي من المحدثين، ومن مضامينها إظهار علاقات التوافق والتقابل والتضاد بين الآيات والسور، رابطا إياها بجهود علماء التراث كالسيوطي في " قطف الأزهار في كشف الأسرار".

– القراءة البنائية: تنطلق من الوحدة البنائية للقرآن والتي يرفض فيها التجزيء رابطا إيها بنظرية النظم البلاغية عند عبد القاهر الجرجاني والجاحظ، والوحدة البنائية كامتداد للنظم تمثل حجر الزاوية في تشكيل المنظومة الداخلية للقرآن التي تحفظه وتجمع أجزاءه، وأما المنظومة الخارجية فقد انفتحت على عناصر كالمقاصد والتي تنتظم في التراث ضمن علوم التوحيد والكلام والتفسير وغيرها، ولا يمكن بأي حال فهم بنائية القرآن إلا على ضوء اعتباره سورة واحدة.

– القراءة التساندية: وهي إجراء تأويلي ينظم معطيات النص والسياق بطريقة مقبولة ومنسجمة، بهدف تحويل التصورات المقترحة إلى آليات قابلة للتطبيق، تستند إلى ما تسمح به البلاغة في امتدادات النص وتراهن على القارئ المنتج البليغ الذي يستطيع تطويع مهارات الربط والتنسيق بالتعاون مع متطلبات النص.

---

*– أستاذ بجامعة عبد المالك السعدي، تطوان.

1 – صادر عن كتاب الأمة، 2013، إدارة البحوث والدراسات الإسلامية، قطر العدد 154

2 – بودرع، عبد الرحمن، نحو قراءة نصية في بلاغة القرآن والحديث، ص: 21.

© المؤلفون. مرخّص بموجب Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 (CC BY-NC 4.0) — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

ومن مظاهر بناء النص القرآني وبلاغته في القرآن والتي تبرر التصور النصي المستوحى من لسانيات النص وحدة موضوعه وتماسكه وانسجامه فالآيات تتصل بالسور ضمن تصور يقوم على الوحدة البنائية دلاليا وهو المسمى بالاتساق (cohérence) وشكلا الانسجام (cohésion) وهذان المعياران من أهم معايير النص التي تركز عليها لسانيات النص؛ فيظهر القرآن عبرهما كسورة واحدة مستدلا على ذلك بأمثلة من كتاب سيد قطب "التصوير الفني في القرآن"، كما توقف عند انسجام الأداة التأويلية من خلال تفسير القرآن بالقرآن وتناسب أجزاء النص، إطار يتحدد بالعلاقات بين الأجزاء الكبرى المكونة للقرآن والتي أشارت إليها الدراسات البلاغية واللغوية والنحوية التراثية تحت علم المناسبة وما يلفه من المفاهيم كالتذييل والجمع بين غرضين مختلفين واللف والنشر ضمن مفهوم الإجمال والتفصيل والمشاكلة من باب ذكر الشيء بلفظ غيره، والوصل لفظا والفصل معنى وغيرها من المفاهيم التي توجد في صلب النظرية النصية وتطبيقاتها.

تؤكد قراءة الأستاذ عبد الرحمن بودرع إمكان الربط بين اللسانيات النصية الحديثة والدراسات القرآنية، رأي أرساه على أسس علمية قوامها التنقيح بما يضمن حفظ خصوصية القرآن ومكانته الاعتبارية في الثقافة الإسلامية، ولعل هذا المنحى يثبت كفاية التراث العربي وقدرته على وصف النص القرآني وتفسير آليات اشتغال أبنيته بما يفيد تفسيره وتأويله.

2. **قراءة أحمد البايبي**[1] في كتاب: "القضايا التطريزية في القراءات القرآنية، دراسة لسانية في الصواتة الإيقاعية"[2]، وهو كتاب من جزئين؛ الأول يتكون من 388 صفحة، والثاني من 391، صدر عن عالم الكتاب الحديث في الأردن، بصفحات متوسطة، وفيه حاول المؤلف الربط بين المدارس الصواتية الحديثة والتراث العربي القديم منطلقا من إمكان الربط بين التراث اللغوي العربي الإسلامي في مجال القراءات والإعراب واللسانيات التوليدية الحديثة خاصة في مجال الصواتة.

يسعى الكاتب في الكتاب إلى تقديم تفسير للملامح التطريزية (النبر والإمالة والتنغيم والوقف والمد...) في القراءات القرآنية المتواترة وغيرها يعتمد في قراءته على نظرية Elisabeth serkilk في "نظرية المجالات التطريزية" بعد تكييفها لتناسب مع معطيات اللغة العربية والقرآن الكريم، يقول :" قضايا التطريز التي هي قيد الدراسة في الصواتة التوليدية الحديثة، ليست ابتكارا خالصا للسانيين الحاليين، فقد تكون الإشراقات والبصائر التي تضمنها التراث اللساني الإنساني بعامة، والإطارات النظرية السابقة بخاصة معالم مضيئة في طريق اللسانيين المعاصرين. إنه، من جهة، إبراز لإسهام تراثنا في دراسة هذه القضايا، ومن جهة ثانية، تعميق لشعور التكامل والاستمرارية المطلوبين بدل واقع القطيعة والأحادية السائدين في تطوير المعرفة السائدة، وفي التأريخ له"[3].

ولقد استهدف الأستاذ من هذا العمل تفسير الملامح التطريزية في القرآن مقروءا والكشف عن الدور اللساني للتطريز ووظيفته في بنية القول القرآني خاصة على مستوى التركيب...، مستثمرا المتن القرآني في علاقته بالقراءات على ضوء مجموعة من النظريات اللسانية خاصة الصواتة الإيقاعية من خلال نموذج إليزابيت سيلكورك (Selkirk Elisabeth) لما يزخر به هذا النموذج من القدرة على بنية القول والتي اكتسبها من اشتغال صاحبته على النحو الصوتي، ومما يتميز به هذا النموذج قدرته على صياغة تصورات صواتية إيقاعية كلية يمكن تطبيقها على لغات مختلفة، وهو ما أقبل عليه الأستاذ أحمد البايبي في هذا العمل مستفيدا من أعمالها بعد التصويب والتنقيح ليتناسب مع المكانة الاعتبارية للنص القرآني خاصة واللغة العربية عامة.

---

1 – أستاذ بالكلية المتعددة التخصصات بالراشيدية، جامعة مولاي إسماعيل مكناس.

2 – عنوان العمل كاملا" القضايا التطريزية في القراءات القرآنية، دراسة لسانية في الصواتة الإيقاعية" 2012، ط1، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن.

3 – القضايا التطريزية في القراءات القرآنية، دراسة لسانية في الصواتة الإيقاعية"، ج1، ص:2.

© المؤلفون. مرخّص بموجب Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 (CC BY-NC 4.0) — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

وأهم ما يمكن الإشارة إليه في هذا السياق تعليق الأستاذ البايبي على هذا الاختيار المنهجي بقوله "الشجاعة الأدبية" [1] وهي التي مكنته من تناول الموضوع على حساسيته؛ فاختار بناءه بالاستناد إلى الكليات الصواتية وفي إطارها تحرك البحث منتقلا بين واقعها في اللغات الأوربية وفي اللغة العربية وفي القرآن مقروءا ووصفا وتفسيرا وتحليلا وتجريبا ومقارنة وفق تصميم قائم على جانب نظري خصصه للكشف عن "الملامح التطريزية" في واقع التراث العربي وداخل المدارس الصواتية الكلاسيكية ثم في الصواتة التوليدية الحديثة، وآخر تطبيقي انتقل فيه إلى تناول التنغيم في القول القرآني.

ولقد توقف الأستاذ عند مجموعة من القضايا منها ما قدمه في الباب الأول الفصل الأول من تسليط الضوء على طبيعة الملامح التطريزية وتعريفها في ارتباط بأصلها الموسيقي وعلاقة التطريز بفوق القطعي، وتوقف عند أساسها الصوتي وميز بين الملامح التطريزية وغير التطريزية من منظور فيزيولوجي وأكوستيكي، وخلص إلى أن الملامح التطريزية تفهم من خلال دورها في البنية التطريزية الهرمية، وفي الفصل الثاني انتقل إلى الملامح التطريزية في الصواتة الكلاسيكية في تأرجحها بين الإهمال والإعمال، ويستعرض بالتفصيل كيف تعاملت المدارس الصواتية مع موضوع التطريز كالبنيوية التي اعتبرتها فونيمات فوق قطعية ثانوية، والوظيفية التي أهملتها، ومدرسة لندن التي أعادت لها الاعتبار ثم ينتقل إلى المدرسة التوليدية مع تشومسكي والتي اهتمت بها وجعلتها أرضية لتطويرها، وفي الفصل الثالث تناول الصواتة الحديثة وانبعاث قضايا التطريز كالصوائت العروضية والتحول بين التركيب والصوتيات، لينتقل في الفصل الرابع إلى القضايا التطريزية في التراث العربي كمفهوم النبر عند ابن جني وكتب الموسيقى، فأكد استشعار القدماء للظواهر التطريزية.

وفي الباب الثاني انتقل إلى التنغيم في القرآن الكريم؛ فتوقف في الفصل الأول عند بواعث التطريز فيه وقراءاته فبين الطبيعة الصوتية للوحي والترتيل والرسم القرآني والعلامات (الوقف ...) ووظيفته التطريزية. ليتوقف في الفصل الثاني ملمح التنغيم في القراءات القرآنية وقضاياه التنظيمية وأنماطه ووظائفه، لينتقل في الفصل الثالث إلى نحو التنغيم أو البنية التنغيمية والبنية الإيقاعية والبؤرة، وفي الفصل الرابع تناول التنغيم وبنية اللغة العربية: أو نحو صواتة إيقاعية عبر تطبيقات حول النبر والتوجيه النحوي وخرق القواعد النحوية ودور التنغيم فيها.

وفي الجزء الثاني تناول في الباب الأول النبر في القراءات القرآنية عبر ثلاثة فصول؛ الأول درس الأنماط الإيقاعية في اللغة أو نحو إطار نظري لمقاربة النبر القرآني، وفيه تناول بناء الكلمة وكيفية توزيع النبر عليها، مقسما إياه إلى نبر رئيسي ونبر ثانوي، والفصل الثاني درس ملمح النبر في القراءات القرآنية، قضاياه وأنماطه ووظائفه، وفي الفصل الثالث درس نبر الكلمة وبنيتها في العربية القرآنية، وفي الفصل الرابع نبر المركب في العربية القرآنية.

وفي الباب الرابع تناول الإيقاع في القراءات القرآنية، ففي الفصل الأول منه بين قضايا أساس في تحليل الإيقاع في القراءات القرآنية، ناقش فيه النشأة الموسيقية لمصطلح الإيقاع وميز بينه وبين الوزن، وفي الفصل الثاني وهو من أهم فصول الكتاب وضح أنماط الإيقاع في القول القرآني بين الكمي وإيقاع توازن النبر وإيقاع التوازن اللفظي والفاصلة، وفي الفصل الثالث الإيقاع وبنية القول القرآني، وفي الرابع توقف عند الملامح التطريزية والبنية التطريزية أو تفاعل الملامح التطريزية في القول القرآني.

وختما فالكتاب جمع بين التراث واللسانيات وأثبت أن الإيقاع القرآني نظام مركب من عدة أنماط إيقاعية متعددة يتداخل فيها ما هو نحوي والفاصلة والجناس بما يخدم المعنى والجمال الصوتي المحقق لبلاغة القرآن وإعجازه، ويتضح من هذه الإطلالة الموجزة على مضامينه قدرة الكاتب الأستاذ على الربط بين الدرس الصواتي العربي والغربي وتنزيلهما في دراسة قضايا التطريز في القراءات

1 - القضايا التطريزية في القراءات القرآنية، دراسة لسانية في الصواتة الإيقاعية، ج1، ص: 3.

© المؤلفون. مرخّص بموجب Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 (CC BY-NC 4.0) — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

القرآنية، ولا شك أن هذه الاستفادة وهذا النجاح في تنزيل التصور سيفتح الطريق أمام دراسات أخرى في مجالات مختلفة يمكن أن تؤدي يوما لظهور نظرية خاصة بلسانيات القرآن.

خاتمة

تناول هذا البحث إشكالية تنزيل الدرس اللساني الحديث على النص القرآني داخل الجامعة المغربية، والمواقف المتباينة بين الرفض المطلق والتأييد، ومن النتائج المتوصل إليها ما قدمه الأستاذان الباحثان من أجوبة تؤكد أهمية الانفتاح على اللسانيات الحديثة؛ فقد أثبتت الوقائع الأكاديمية في الجامعة المغربية أن تطبيق اللسانيات الحديثة في الدراسات القرآنية ليس مجرد رهان نظري، بل هو حقل معرفي فعلي، وهو ما ظهر في أعمال أكاديمية رصينة كقراءات الأستاذ عبد الرحمن بودرع وأحمد البايبي والتي استطاعت تجاوز ثنائية الرفض/القبول المتطرفة، وصوغ نموذج متوازن يراعي خصوصية النص القرآني ويستفيد في الوقت نفسه من أدوات التحليل اللساني الحديثة. وتعود عوامل هذا النجاح إلى قدرتهما على تكييف اللسانيات للنص والاستفادة من جديدها مع الحفاظ على المسافة القائمة بين النص القرآني الذي يمثل الهدف واللسانيات التي تمثل المنطلق؛ وبذلك تحقق الربط مع التراث من جهة ومع الدرس اللساني من أخرى، ولئن كان هذا النجاح في بدايته فإنه يستشرف مستقبلا بحثيا واعدا.

© المؤلفون. مرخّص بموجب Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 (CC BY-NC 4.0) — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- إسماعيلي، علوي حافظ ومن معه، أسئلة اللغة وأسئلة اللسانيات، 2009، ط 1
- دار الأمان، الرباط.
- الأخضر غزال، أحمد، فلسفة الحركات في اللغة العربية، مجلة اللسان العربي، 1973العدد 10.
- البايبي، أحمد، القضايا التطريزية في القراءات القرآنية، دراسة لسانية في الصواتة الإيقاعية" 2012، ط1، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن.
- ابن منظور، جمال الدين أبو الفضل، لسان العرب، تحقيق عبد الله علي الكبير ومن معه، دار المعارف.
- بودرع، عبد الرحمن، نحو بلاغة نصية في بلاغة القرآن والحديث، 2013، ط1، منشورات كتاب الأمة، إدارة البحوث والدراسات الإسلامية، قطر.
- الحرالي، تراث أبي الحسن الحرالي المراكشي في التفسير، 2011، ط1، تحقيق محمادي الخياطي، نشر مطبعة دار الأمان للنشر والتوزيع، الرباط.
- الرحالي، محمد، تركيب اللغة العربية، مقاربة نظرية جديدة، 2003، ط 1، دار توبقال، الدار البيضاء.
- عبد الرحمن، طه، روح الحداثة، المدخل إلى تأسيس الحداثة الإسلامية، 2006، ط:1، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب.
- عبد الرحمن، طه، فقه الفلسفة، الفلسفة والترجمة، 1995، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، ج1 .
- الكفوي، أبو البقاء، الكليات، 1998، ط2، تحقيق عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت.
- المتوكل، أحمد الخطاب وخصائص اللغة العربية، الرباط، منشورات الاختلاف، ط1، 2010.

المصادر الأجنبية:

- Holub,Robert C , Reception Theory, Acritical introduction1989, routledge London and Newyork .

© المؤلفون. مرخّص بموجب Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 (CC BY-NC 4.0) — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/